اقتراح مبدئى لإطار عام لمادة «العقيدة والمذاهب المعاصرة»

أ. د. محمد شامة

مدى أهمية تدريس مادة «العقيدة والمذاهب المعاصرة»:

إن هوية الأمة ـ أى أمة ـ تقوم على ثقافتها، ووجودها يرتكز على دينها وعقيدتها، فكلما حافظ الأفراد على ثقافتهم، وتمسكوا بها وحموها من الذوبان فى الثقافات الأجنبية، برزت هويتهم، وتميز كيانهم بين الثقافات، وثبتت أقدام أمتهم بين ركب الأمم، وتسامت هاماتهم فى خضم الأمواج العالية على الساحة الدولية.

كذلك الأمر فيما يتعلق بدينها وعقيدتها، فالدين أساس الوجود، ومرتكز الحياة، فلا توجد أمة بدون دين، ولا يبرز كيان المجتمع إلا بالدين والعقيدة، فهوية الأمة الإسلامية دينها، ووجودها مرتبط بالعقيدة، سلوكًا، وأخلاقًا، وحياة وحضارة. ولا تتحقق لها الحياة الكريمة إلا إذا تربى أبناؤها على تعاليم الإسلام، فدرسوا أسس العقيدة وتدربوا على مواجهة ما يوجه إليها من افتراءات، خاصة فى عصرنا الحاضر، حيث تتسارع الأحداث ، وتتدفق المعلومات من كل حدب وصوب، مؤثرة فى صياغة الحياة فى المجتمعات الإسلامية. فلو لم يتسلح الشباب للتعامل معها تهتز عندهم المسلمات، ويتشابك فى ثقافتهم الغث مع الثمين، فيتسرب الشك إلى عقولهم. لهذا كان من الواجب عقديًا أن تشتمل مناهج التدريس فى الجامعات الإسلامية على هذه المادة، لكى نحمى شبابنا من التيارات الهدامة، ونصون عقيدتهم من التلوث الفكرى المنتشر على الساحة الفكرية فى طول الكرة الأرضية وعرضها، حتى يكونوا قادرين على المواجهة فى كل زمان ومكان.

تاريخ دراسة هذه المادة وحتمية تطويرها:

تلقى المسلمون الأوائل عقيدة الإسلام صافية نقية من وحى السماء فكانوا

على عهد النبى ﷺ يسمعون الوحى فيؤمنون بما أنزله الله على رسوله ﷺ، ويسلمون بنصوص القرآن الكريم دون تأويل أو مناقشة، بل إن رسول الله ﷺ نهاهم عن السؤال عن ذات الله ـ تعالى ـ وكتبه، فكان إيمانهم تسليماً وانقياداً لما يخبرهم به رسول الله ﷺ عن الله ـ جل جلاله ـ . وبعد عصر النبوة اتصل المسلمون بأصحاب الأديان والمذاهب الأخرى فى البلاد المفتوحة، فدخلوا معهم فى مناقشات حول ذات الله وصفاته، وتساؤلاته عن علاقة الإنسان بالله، وموقف الإسلام من مسائل لم تكن موجودة فى عصر النبوة، مثل : صفات الله، والجبر والاختيار، والقضاء والقدر، وحكم مرتكب الكبيرة، والصلاح والأصلح .. وغيرها من المسائل التى تتعلق بالعقيدة.

تصدى المسلمون الأوائل لكل ما أثاره أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى، فناقشوهم، وحاوروهم ، ولم يقتصر عملهم على التصدى لهؤلاء بالمناظرات الشفوية، بل سطروا ذلك فى كتب عديدة زخرت بها المكتبة الإسلامية، فكان إنتاجهم العلمى فى هذا المجال مُعبّراً عن الصراع الفكرى بينهم وبين المكابرين والمعارضين للإسلام، كما حتمت عليهم ظروفهم الثقافية والبيئية استخدام أساليب العصر، ومفردات التخاطب فى هذا المجال، فمن هذه الكتب:

* التوحيد للماتريدى)(٣٣٣هـ)
* تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار (٤١٥هـ).
* الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل(٦٠٥هـ).
* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية(٧٢٧هـ).

وغيرها من الكتب التى كانت مراجع هامة للدارسين، غير أن هذه الموجة من التأليف توقفت بعد ابن تيمية، اللهم إلا بعض الكتب، التى تناولت مسائل العقيدة والرد على المخالفين والمناوئين بالأسلوب القديم وبذات الموضوعات القديمة، دون تناول ما استجد على الساحة من أقاويل وادعاءات، فأصبح الدارس لهذه المادة محصوراً فى هذه الكتب، ودائراً حول الموضوعات والمسائل

التى تناولها السابقون، ويركز على مناقشات مع أناس لم يعد لهم وجود، غير عابئ مما جد على الساحة الفكرية من أفكار ونظريات تتعلق بمسائل العقيدة، ولهذا نقرأ فى كثير من الكتب التى تدرس فى بعض الجامعات مناقشات مع أناس لم يعد لهم وجود الآن، ومساجلات مع فرق اختفت من الساحة الفكرية، مع غياب المنهج الملائم لمواجهة زنادقة العصر الحديث، وفقدان الأسلوب الذى يناسب المنكرين للتوحيد فى ساحة الفكر العالمية فى القرن الواحد والعشرين، فضلاً عن أن هذه الكتب تحتوى على مفردات ومصطلحات لا فائدة من استعمالها فى المناقشات مع الملاحدة والمناوئين للإسلام فى عصرنا الحاضر.

لذا كان لا بد من تطوير منهج دراسة علم التوحيد (أو بالتعبير الحديث : علم العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة) حتى نواجه العصر بأسلوبه ونناقش من يجادلنا بالمفردات اللغوية التى يستخدمها، ونتصدى لتيارات فكرية، وفرق دينية، ومذاهب فلسفية تحاول السيطرة على من يعيش فى الحضارة المعاصرة.

الهدف من التطوير:

تكوين الطالب تكوينًا علميًا بحيث يكون قادراً على شرح مبادئ العقيدة الإسلامية بأسلوب معاصر، ومؤهلاً لاستخدام أحدث المناهج العلمية فى مجال الأبحاث النظرية، ولن يتأتى له ذلك إلا إذا كان مُلمًا إلمامًا كاملاً بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الواردة فى هذا الصدد، مع الوقوف على منهج السابقين، كى يستخدم منه ما يمكن استخدامه فى هذا العصر، مضيفًا إليه ما يدرسه من تيارات فكرية حديثة، ومذاهب فلسفية معاصرة، وفرق دينية لم تكن موجودة فى العصور الماضية.

أقسام المنهج المقترح، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات بأسلوب عصرى، مع تدريب الطالب على قراءة بعض النصوص القديمة، كى يتعود قراءة وفهم

التراث، مع إضافة النقاط التالية:

(١) الدين ضرورة عقلية.

(٢) الوحى والعقل متلازمان.

(٣) البعد الإنسانى والأخلاقى فى الرسالات الإلهية.

(٤) الثواب والعقاب الأخروى والدنيوى تقويم للسلوك.

القسم الثانى:

(أ) دراسة المذاهب التى تناولت العقيدة، مثل :

* الوجودية، الوضعية، المادية، دراسة ما تناولته من الجانب العقدى والرد عليها من وجهة النظر الإسلامية.

(ب) دراسة الحركات والاتجاهات الفكرية التى خاضت فى مجال العقيدة، مثل:

* التنوير، العلمانية، العولمة وغيرها من المصطلحات التى تهدف إلى إبعاد الدين عن الحياة.

القسم الثالث:

ما توصل إليه الفكر الإنسانى من نظريات علمية، تمس مسلمات عقدية، وتتعلق بنصوص قرآنية، نذكر منها على سبيل المثال:

(١) أبحاث الفضاء.

(٢) النتائج التى توصل إليها العلم فيما يتعلق بالإنسان، مثل الجينات، نظريات علم النفس، وغيرها مع ربطها بما ورد فى القرآن الكريم فى هذا الصدد.

(٣) ما ظهر من نظريات تبدو لمن لا علم له بالكتاب متناقضة مع المسلمات الإسلامية، مثل السموات السبع والأراضين فى ضوء ما توصل إليه علم الفلك، وكالغيبيات التى أخبرنا القرآن الكريم بأن الله استأثر بعلمها، فحجبها عن الإنسان، فى ضوء ما بينته مستحدثات العصر من معرفتها والكشف عنها،

مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان : ٣٤] ، فقد ذكروا أنهم أنزلوا ما يسمونه بالأمطار الصناعية، وقالوا: إن أطباء التوليد استطاعوا بواسطة أجهزتهم التقنية معرفة ما في الأرحام، ذكراً أم أنثى... وغير ذلك مما هو موجود على الساحة الفكرية العالمية.

هذا تصور عام لمفردات هذه المادة، وسيتلوه إن شاء الله ـ بيان مفصل للموضوعات التي يمكن أن يدرسها الطالب في المرحلة الجامعية.